حول الوحدة والتقريب

فقبل كل شيء يشير الى الحوار الذي تم بين المرحوم السيد شرف الدين والمرحوم الشيخ البشري ـ شيخ الأزهر الشريف ـ حيث تم دفع الدور المتصور والقائل بأن كلام الأئمة لا يشكل حجة على غيرهم إلا إذا ثبتت حجيته وانه من السنة وكونه من السنة أول الكلام وقد دفع هذه الشبهة بأن ثبوت كونهم من الرواة الموثوقين يرفع شبهة الدور. ثم راح يستدل على عصمتهم وحجية أقوالهم من الكتاب كما جاء في آية التطهير، ومن السنة كما جاء في حديث الثقلين، ويدفع كل الشبهات المطروحة في البين بأقوى الحجج والبراهين بما لا مزيد عليه أحياناً. وينتهي الى أن حجية سنة أهل البيت (عليهم السلام) إنما هو في الواقع تحكيم للسنة النبوية وتطبيق لأوامرها خصوصاً وأن السنة النبوية نفسها لم تجمع على عصره صلى الله عليه وآله وسلم وفيها الناسخ والمنسوخ، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، ثم إن المشكلة تتعقد بعده صلى الله عليه وآله وسلم عند تكثر الفتوح وانتشار الوضع. يقول (رحمه الله): (وما دمنا نعلم أن السنة لم تدون على عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وان النبي صلى الله عليه وآله وسلم منزه عن التفريط برسالته فلابد أن نفترض جعل مرجع تحدد لديه السنة بكل خصائصها، وبهذا تتضح اهمية حديث الثقلين وقيمة ارجاع الأمة الى أهل البيت (ع) فيه لأخذ الأحكام عنهم كما تتضح اسرار تأكيده على الاقتداء بهم وجعلهم (سفن النجاة) تارة و(أماناً للامة) اخرى و(باب حطة) ثالثة وهكذا. ([220]) ومما ينبغي ذكره هنا لتأكيد ما ذكره السيد الحكيم هو أن الرجوع الى سنة أهل البيت (ع) هو في الواقع رجوع الى سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأنهم تلامذة الرسول والمحكمون لشرعته، وحديثهم حديثه ونقلهم عنه صلى الله عليه وآله وسلم، وحينئذ يعود هذا الفارق الموهوم جسراً للتفاهم والرجوع الى الواقع والتقارب بين المسلمين.